(246) فالكيان المعقّد والعجيب لكل واحد من هذه الموجودات، والمليء بالأسرار كما يشهد بصدق وجلاء على صانع لها، كذلك يشهد ـ بلسان التكوين ـ على خالق واحد، عالم وقدير وحكيم، وعلى الجملة على "علم" ذلك الصانع و"حكمته" و "قدرته" وخلوّه عن أي نوع من الجهل والعجز والعي، بل يكفي في التسبيح دلالتها على صفاته الكمالية فقط، الملازم لدفع الصفات السلبية ولا يجب أن يكون بصورة سلب النقائص ابتداء. ففي مجال تنزيه اللّه عن "الشريك" مثلاً، تأتي شهادة هذه الموجودات على النحو الآتي: إنّ النظام الواحد الذي يسود في الذرة والمجرّة على السواء يشهد بأنّ الكون بأسره وجد بإرادة خالق وصنع صانع واحد دون أن تكون لأي خالق آخر مشاركة في هذا الخلق والصنع، وأنّ وحدة النظام دليل على وحدة المنظم وعدم الشريك له سبحانه . وكذا إنّ سيادة نظام موحد على مجموع أجزاء الكون كما تفيد أنّ ثمة "منظماً واحداً" يحكم هذا العالم، كذلك تكشف الأسرار الدقيقة، والتقدير المتقن عن "علم" صانعها و "حكمته" و "قدرته" الملازم لتنزّهه عن الجهل واللعب والعجز(1)، وقد مر أنّه يكفي في التسبيح دلالة الشيء على كمال المؤثر الملازم

_____ 1 . هذا مضافاً إلى أنّ هذه النظرية تفصيل لما أجمل في النظرية الأُولى، فإنّ القائل بالنظرية الأُولى أجمل القول واكتفى بالقول بأنّ كل موجود حادث يدل على وجود محدثه، لكن القائل بالنظرية الثالثة بسط الكلام وأفاد بأنّ وجود كل حادث كما يدل بحدوثه على وجود محدثه، كذلك يدل بصفاته (أعني: النظام السائد فيه) على صفات موجده من العلم والقدرة والحكمة، وخلوّه عن العجز والجهل والعبث. ولأجل هذا قلنا إنّ النظرية الثالثة تفصيل لما جاء في الأُولى.